لا أدرى أيهما خير لى ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإنى ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا ا ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبنى على أصولها من الإيمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد .

فإن قلت فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن با تعالى فى تيسير الأسباب الخفية فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين ا تعالى قال ا تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وا يعدكم مغفرة منه وفضلا فإن الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الإمام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال فى الرابعة يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدى ا وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودى على ضمان ا تعالى بالرزق وقال إمام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك .

وينفع حسن الظن بمجىء الرزق من فضل ا تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع ا تعالى فى وصول الرزق إلى صاحبه وفيها عجائب قهر ا تعالى فى إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكةأياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به إليه فكتب بسم ا الرحمن الرحيم أنت

المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا .

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا ضائع أنا عارى .

هى ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا بارى .

مدحى لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار .

ثم دفع إلى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير ا تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع إلي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة